تفسير القرآن الكريم

سورة العنكبوت ١٤-٨-١٤٠٣ ٦

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادوي الطهراني

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم(١)

سورة العنكبوت

أَ حَسِبَ النَّاسُ أَن يُترَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢)

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)

سورة العنكبوت

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ
أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يحَكُمُونَ(٤)

سورة العنكبوت

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٥)

سورة العنكبوت

وَ مَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ
إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ(٦)

سورة العنكبوت

وَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٧)

سورة العنكبوت

وَ وَصَّيْنَا الْانسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَ إِن جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٨)

سورة العنكبوت

وَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فىِ الصَّالِحِينَ(٩)

و الّذين ءامنوا و عملوا الصّالحات لندخلنهم فى الصّالحين

- ثم قال تعالى «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» بتوحيد اللّه و اخلاص العبادة له و صدق أنبيائه و أضافوا الى ذلک الأعمال الصالحات «لَنُدْخِلَنَّهُمْ فى» جملة «الصَّالحين» الذين فعلوا الطاعات و يجازيهم اللّه ثواب الجنة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۹

و الّذين ءامنوا و عملوا الصّالحات لندخلنهم فى الصّالحين

- قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ» معنى الآية ظاهر، وَ فى وقوعها بعدَ الآية السَابقة و فى سياقها، دلالة على وعد جميل منه تعالى و تطييب نفس لمن ابتلى من المؤمنين بوالدين مشركين يجاهدانه على الشرك فعصاهما و فارقهما،

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠۴

و الّذين ءامنوا و عملوا الصّالحات لندخلنهم فى الصّالحين

- يقول سبحانه: إنَ جَاهداه على الشرک فعصاهما و هجرهما ففاتاه لم يكن بذلک بأس فإنا سنرزقه خيرا منهما و ندخله بإيمانه و عمله الصالح فى الصالحين و هم العباد المنعمون فى الجنة، قال تعالى: «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّک راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِى فِى عَبادِى وَ اُدْخُلِى جَنَّتِى»: اَلفجر: ٣٠.
- و أما إرادة المجتمع الصالح فى الدنيا فبعيد من السياق.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٥

سورة العنكبوت

وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِىَ فىِ اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَ لَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فىِ صُدُورِ الْعَالَمِينَ(١٠)

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ(١١)

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّه

- ثم اخبر ان «مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ» بلسانه «آمَنَّا بِاللَّه فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ» أى إذا لحقه شدة فى جَنبَ اَللّٰه «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ» أى عذاب الناس إياهم «كَعَذابِ اللَّهِ» اى خافوا عذاب الخلق، كما يخاف عذاب اَللّٰه، فيرتدون.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۹۰

وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ

- «وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» و هذا الذی ذکره صفة المنَافقين الـذين إذاَ جاهـدوا الكفـار و كانت الدائرة على المسلمين جعلوا ذلک مثل ما يعذبهم اللّٰه، و متى ظفروا بأعـدائهم قـالوا للمـؤمنين «إِنَّـا كُنَّـا مَعَكُمْ» فِی الجِهادِ فلنا مثلِ ما لكم مـنِ الغنيمـةَ، فقـال تعالى «أَ و لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بما فی صدور الْعالَمين» أی الله يعلـم بـواطن أحـوالهم وَ سـرائر مـا فـی نفوسـهم، فيجازيهم على حسب ذلک.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۹۰

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّه

- قوله تعالى: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّه فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّه جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّه» إلى آخر الآية، لما كان إيمان هؤلاء مقيداً بالعافية و السلامة مغيى بالإيذاء و الابتلاء لم يعده إيمانا بقول مطلق و لم يقل: و من الناس من يؤمن بالله بل قال: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّه» فالآية بوجه نظيرة قوله: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ»: الحج: ١١.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج١۶، ص: ١٠۵

فَإِذا أُوذِىَ فِى اللَّه

- و قوله: «فَإِذا أُوذِىَ فِى اللَّه» أى أوذى لأجل الإيمان بالله بناء علَى أن فِى لِلسببيةَ كما قيل و فيه عنايةَ كلاميةَ لطيفةَ بجعله تعالى- أى جعل الإيمان بالله- ظرفا للإيذاء و لمن يقع عليه الإيذاء ليفيد أن الإيذاء منتسب إليه تعالى انتساب المظروف إلى ظرفه و ينطبق على معنى السببيةَ و الغرضيةَ و نظيره قوله: «يا حَسْرَتِى عَلى ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللَّه»: الزمر: ۵۶ و قوله: «وَ الَّذِين جاهَدُوا فِينَا»: العنكَبوتَ: ۶۹.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۵

فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ

- و قيل: معنى الإيذاء فى الله هو الإيذاء فى سبيل الله و كأنه مبنى على تقدير مضاف محذوف.
- و فيه أن العناية الكلامية مختلفة فالإيذاء فى الله ما كان السبب فيه محض الإيمان بالله و هو قولهم: ربنا الله، و الإيذاء فى سبيل الله ما كان سببه سلوك السبيل التى هى الدين قال تعالى: «فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي»: آل عمران: ١٩٥

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٥

فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ

- و من الشاهد علىِ تغـاير الاعتبـارين قولـه فـى آخـر السورة: «وَ الَّذين جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنا» حيـث جعل الجهاد فىَ الله طريقا إلَى الاهتَداء إلى سـبله و لـو كانا بمعنى واحد لم يصح ذلک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۵

جَعَلَ فتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّه

- و قوله: «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّه» أى نزل العذاب و الإيذاء الذى يَصيبه من َالناس فَى وَجوب التحرز منه منزلة عذاب الله الذى يجب أن يتحرز منه فرجع عن الإيمان إلى الشرک خوفا و جزعا من فتنتهم مع أن عذابهم يسير منقطع الآخر بنجاة أو موت و لا يقاس ذلک بعذاب الله العظيم المؤبد الذى يستتبع الهلاک الدائم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٥

وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ

- و قوله: «وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» أى لئن أتاكم من قبلَه تعالى ما فيه فرج و يسر لكم من بعد ما أنتم فيه من الشدة و العسرة من قبل أعداء الله ليقولن هؤلاء إنا كنا معكم فلنا منه نصيب.
- و «لَيَقُولُنَّ» بضم اللام صيغة جمع، و الضمير راجع إلى «من» باعتبار المعنى كما أن ضمائر الإفراد الأخر راجعة إليها باعتبار اللفظ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠۶

أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ

- و قوله: «أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ» استفهام إنكارى فيه ردّ دعواهم أنهم مؤمنون بأن الله أعلم بما فى الصدور و لا تنطوى قلوب هؤلاء على إيمان.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۶

أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ

- و المراد بالعالمين الجماعات من الإنسان أو الجماعات المختلفة من أولى العقل إنسانا كان أو غيره كالجن و الملک، و لو كان المراد به جميع المخلوقات من ذوى الشعور و غيرهم كان المراد بالصدور البواطن و هو بعيد.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠۶

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

- قوله تعالى: «وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ» من تتمة الكلام فى الآيةَ السابقة و المحصل أن اللَّهَ مع ذلک يميز بين المؤمنين و المنافقين بالفتنة و الامتحان.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠۶

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

- و فی الآیة إشارة إلی کون هؤلاء منافقین و ذلک لکون إیمانهم مقیدا بعدم الفتنة و هم یظهرونه مطلقا غیر مقید و الفتنة سنة إلهیة جاریة لا معدل عنها.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۶

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

- و قد استدل بالآيتين على أن السورة أو خصوص هذه الآيات مدنية و ذلک أن الآية تحدث عن النفاق و النفاق إنما ظهر بالمدينة بعد الهجرة و أما مكة قبل الهجرة فلم يكن للإسلام فيها شوكة و لا للمسلمين فيها إلا الذلة و الإهانة و الشدة و الفتنة و لا للنبی ص فی المجتمع العربی يومئذ و خاصة عند قريش عزة و لا منزلة فلم يكن لأحد منهم داع يدعوه إلى أن يتظاهر بالإيمان و هو ينوی الكفر.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۶

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

- علی أن قوله فی الآیة: «وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» یخبر عَن النصر و هوَ الفتح و الغنیمة وَ قد کان ذلک بالمدینة دون مکة.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۶

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

- و نظير الآيتين قوله السابق: «وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِه» ضرورة إن الجهاد و القتال إنما كان بالمدينة بعد الهجرة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٦

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

- و هو سخيف: أما حديث النفاق فالذى جعل فى الآية ملاكا للنفاق و هو قولهم:آمَنَّا باللَّه حتى إذا أوذوا فى الله راجعوا عن قولهم كان جائز التحقق فى مكة كما فى غيرها و هو ظاهر بل الذى ذكر من الإيذاء و الفتنة إنما كان بمكة فلم تكن فى المدينة بعد الهجرة فتنة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٧

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

- و أما حديث النصر فالنصر غير منحصر فى الفتح و الغنيمة فله مصاديق أخر يفرج الله بها عن عباده. على أن الآية لا تخبر عنه بما يدل على التحقق فقوله: «فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» يدل على تحقق الإيذاء و الفتنة حيث عبر بإذا الدالة على تحقق الوقوع بخلاف مجيء النصر حيث عبر عنه بأن الشرطية الدالة على إمكان الوقوع دون تحققه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٧

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

- و أما قوله تعالى: «وَ مَنْ جاهَدَ» إلخ فقد اتضح مما تقدم أن المراد به جهاد النفس دون مقاتلة الكفار فالحق أن لا دلالة فى شىء من الآيات على كون السورة أو بعضها مدنية.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٧